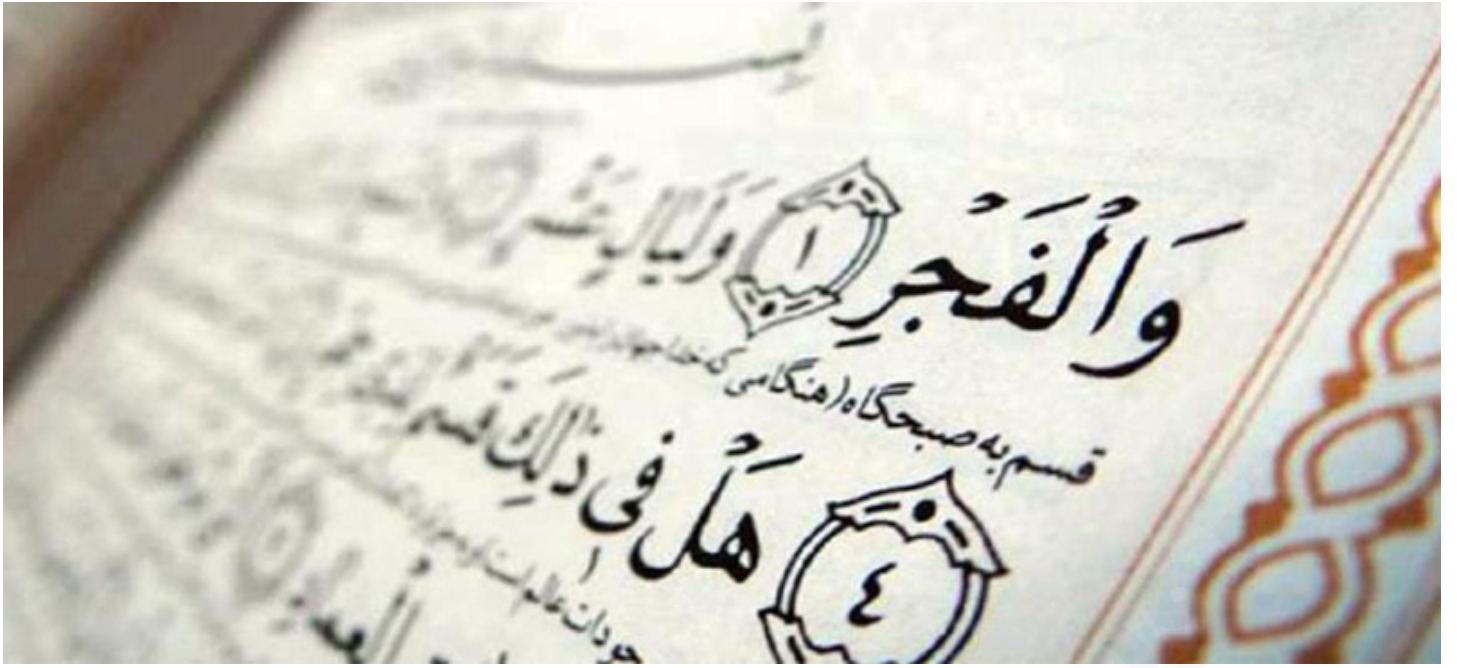




ولیل عشر

خطب المناسبات

الدرس الأول من تفسير سورة الفجر

2021-07-12

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علما ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

سورة الفجر أربعة مقاطع:

في كتاب الله تعالى سورة من الجزء الثلاثين وهي سورة مكية، والجزء الثلاثون سورة مكية، نزلت قبل الهجرة، ومعظم القرآن المكي يتحدث عن الآيات الكونية، وعن البعث يوم القيامة، سورة الفجر أربعة مقاطع، المقطع الأول مقطع القسم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ (1) وَلَيْلٍ عَشْرِ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ (5)

[سورة الفجر]

المقطع الثاني يتحدث عن الأمم الغابرة التي مضت، والتي أذاقها الله العذاب بسبب كفرها بنعم الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

[سورة الفجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)

[سورة الفجر]

المقطع الأخير يتحدث عن مشاهد من مشاهد يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وِثْقُهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتٍ (30)

[سورة الفجر]

الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يحلف بغير الله:

نبدأ بالمقطع الأول ؛ المقطع الأول القسم بالآيات الكونية قال تعالى: (وَالْفَجْرِ) الفجر وقت الفجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ عَسْفِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78)

[سورة الإسراء]



الفجر هو وقت الصبح

الفجر هو وقت الصبح عندما يطلع الفجر، ويأذن الله بميلاد فجر يوم جديد، هذا وقت الفجر وقال العلماء: الفجر؛ هو يوم النحر، أي مخصص بيوم النحر أول أيام عيد الأضحى، فأقسم الله به، هذا قول لبعض أهل العلم، لكن الظاهر أنه على إطلاقه فهو آية من آيات الله، الإنسان المؤمن لا ينبغي له أن يقسم إلا بالله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن سعد بن عبيدة: أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال له: لا تَحْلِفْ بغير الله فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: **مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد كَفَرَ أو أشرك** }

[أخرجه الترمذي]

{ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سمع عمر وهو يحلف بأبيه، فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. **فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمُتْ** }

[متفق عليه]

فالإنسان المؤمن لا ينبغي أن يحلف بغير الله، لأنه لا يعظم عنده إلا الله، لكن الله تعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وقسمه بما شاء من مخلوقاته ليلفت نظرنا إلى هذا الشيء، فإذا قال تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَالشَّمْسُ وَضَحَّاهَا (1)

[سورة الشمس]

أي انظروا إلى الشمس، وإذا قال: **(وَالْفَجْرِ)** أي تفكروا في آية الفجر، وإذا قال: **(وَاللَّيْلِ)** أي تفكروا في آيات الليل وهكذا.

الفجر آية من آيات الله:

(وَالْفَجْرِ) أي انظروا إلى هذه الآيات، أين الليل إذا ذهب النهار؟ وأين النهار إذا ذهب الليل؟ الفجر آية من آيات الله. كلما تقدم العلم كشف عن جوانب مهمة في هذا القسم العظيم، **(وَالْفَجْرِ)** تعاقب الليل والنهار مبني على دوران الأرض حول الشمس، مبني على دوران الأرض حول نفسها، مبني على أنها كروية، فلو لم تكن كروية لما تداخل الليل مع النهار بالحالة الموجودة وهكذا. هذه **(وَالْفَجْرِ)** إشارة إلى وقت الفجر، وإلى آية الفجر تحديداً، وأقصد الآية الكونية التي ينبغي أن ننظر فيها، ونتمتع فيها **(وَالْفَجْرِ)**.

أيام العشر من ذي الحجة أفضل الأيام على الإطلاق:

الآن قال: **(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)** الليالي العشر معظم المفسرين ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر الأمة، وترجمان القرآن، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم:

{ **اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين، واجعله من أهل الإيمان** }

[أخرجه الحاكم]

ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: **(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)** هي ليال العشر من ذي الحجة، العشر من ذي الحجة، هذه الليالي التي نعيش أجواءها الآن، وهذه الليالي أيها الكرام جاء بها حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

{ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يُحاطِر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء }

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي]



الجهاد ذروة سنام الإسلام

الجهاد له مكانة عظيمة في نفوس الصحابة الكرام، ويعلمون أنه ذروة سنام الإسلام فاستغربوا (ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد) في سبيل الله، أي العمل الصالح أفضل في هذه الأيام من الجهاد في سبيل الله فيما سواه (إلا رجل خرج يُحاطِر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء) حالة خاصة أنه خرج فاستشهد في سبيل الله، وقدم روحه وماله، فهذا فقط الذي يفوق أجره هذه الأيام العشر، وهذا للدلالة على عظم هذه الأيام، قال أهل العلم: إنها أفضل الأيام على الإطلاق، حتى أفضل من أيام العشر من رمضان، إلا أن ليالي العشر من رمضان لها مكانة أعظم عند الله لأن فيها ليلة القدر، لكن كأيام العشر بنهارها وليليها أفضل أيام الدنيا هي تلك الأيام وأفضلها هو يوم النحر، أول أيام العيد هو يوم النحر، ثم يوم عرفة، وأيضاً يوم القر، وهو اليوم الثاني من أيام العيد، حيث يقر الحجاج في منى، فكل أيام العشر وما بعدها أيام التشريق هذه من أفضل أيام العمر، ولكن كثير من الناس يغفلون عنها رغم أن الله تعالى أقسم بها في قرآنه الكريم.

والعمل الصالح متنوع في هذه الأيام، الصيام جزء، وجزء جيد من العمل الصالح، لأن العمل الصالح واسع إخواننا الكرام سواء ما تعدى خبره إلى الآخرين، أو ما اقتصر نفعه على الإنسان، فما دام صالحاً وفق منهج الله، ويتبع به وجه الله، كيف وفق منهج الله ويتبع به وجه الله، لو أن إنساناً بنى مسجداً ولكنه ابتغى به أن توضع لوحة باسمه على المسجد ليمدحه الناس، ويقبلوا على تجارته لأنه بنى مسجداً في فناء معمله مثلاً فهذا العمل وفق منهج الله، لأنه بناء مسجد، لكنه ليس لله، هذا ليس عملاً صالحاً.

ولو أن إنساناً أقام حفلة ثم قال: هذه حفلة خيرية لنجمع التبرعات لأهلنا المحاصرين من كذا من بقاع الأرض، وجاء- نسأل الله السلامة - بمغنية متبرجة، وجمع التذاكر، وتبرع بها، فتقول: والله هذا العمل حرام، هو فعله لله، لكن هذا العمل ليس وفق منهج الله، لأن هذا العمل فيه إفساد للمجتمع، فهو ربما ابتغى وجه الله فيما فعل لكنه أتى بالعمل على خلاف السنة، لذلك قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَذِلَّنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

[سورة النمل]

فينبغي حتى يرضى الله عن العمل الصالح أن يكون العمل وفق منهج الله وأن يكون خالصاً لوجه الله معاً، فهما شرطان لازمان غير كافي كل منهما على حدة، لابد منهما معاً.

أعظم الأعمال الصالحة في العشر من ذي الحجة:

1 - ذكر الله عز وجل:

أحبابنا الكرام؛ العمل الصالح في هذه الأيام متنوع، ومن أعظمه ذكر الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله

العمل فيهن من أيام العشر فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير }

[أخرجه الطبراني]

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وأكثرنا من التكبير.



التكبير في عشر ذي الحجة سنة مؤكدة

التكبير في هذه الأيام سنة مؤكدة عن النبي صلى الله عليه وسلم، من غروب شمس آخر يوم من أيام ذي القعدة، أي دخول ذي الحجة من المغرب آخر يوم من ذي القعدة وحتى ثالث أيام التشريق، أي رابع أيام العيد كل هذه الأيام أيام التكبير، وكان الصحابة يكبرون في ممشاهم وأسواقهم، لكن هناك تكبيراً مقيداً وهو ما يكون بعد الصلوات الخمس، هذا يبدأ من صبح يوم عرفة، من فجر يوم عرفة يمتد إلى ثالث أيام التشريق، أي رابع أيام العيد، إلى غروب الشمس، هذا مقيد أي بعد الصلوات، سنته بعد الصلاة، لكن التكبير المطلق في كل وقت، وفي كل حال، وفي كل آن، هو في أيام العشر كلها مع أيام العيد، إلى آخر أيام العيد، حتى غروب آخر شمس من أيام التشريق، كلها أيام تكبير، وتحميد، وتهليل، وتكبير، أكثر من ذكر الله في هذه الأيام، والتهليل، والتكبير، والتحميد.

2 - الصدقات:

من الأعمال الصالحة التي يضاعف أجرها في هذه الأيام: الصدقات.

أحبائنا الكرام ! المؤمن يتحرى الأوقات التي تضاعف فيها الأجور، أي كلنا ينبغي أن نكون تجاراً مع الله، في هذه الأيام أحبائنا الكرام تاجروا مع الله، لو أن إنساناً يريد أن يقدم صدقات بشهر أو شهرين الآن ينفعهم لأن الحاجة ماسة، وأحوال الناس صعبة، يخرج صدقاته في هذه الأيام حتى تضاعف له، لا سيما نحن مقبلون على العيد.

3 - الصيام:

ومن الأعمال الصالحة: الصيام، يستحب الصيام، واستحبه الكثير من أهل العلم في هذه الأيام، فهي عشرة أيام، العاشر يحرم صيامه، لأنه أول أيام العيد، هو يوم النحر هذا يحرم صيامه، والتاسع يسن صومه، صومه سنة مؤكدة - صوم يوم عرفة - لغير الحاج، لأن الحاج في جهد فلا ينبغي أن يصوم، فالتاسع يسن صيامه لغير الحاج، وهو سنة مؤكدة، قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صيام يوم عرفة إني أحتسبُ على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي بعده

والسنة التي قبله }

[أخرجه الترمذي]



الصيام في عشر ذي الحجة

وأما الأيام الثمانية الأخرى من واحد إلى ثمانية من استطاع أن يصومها كلها فقد أفلح ونجا، ومن صام بعضها فعلى العين والرأس، فالأعمال الصالحة واسعة في هذه الأيام ومنها الصيام، وقد ورد في أحاديث سنية صيام العشر، وإن كان ضعفها بعض أهل العلم، لكن صححها كثير من أهل العلم أيضاً، صيام العشر، العشر كاملة من واحد لتسعة طبعاً، لكن يقولون: العشر من باب التغليب، لأن العاشر لا يجوز صيامه، وانظروا إلى عظمة هذا الدين أنك يوم عرفة تتقرب إلى الله بالصيام، ويوم العيد تتقرب إلى الله بالفطر، ولو صمت العاشر وأفطرت التاسع فقد أخذت إثم العاشر وفوت سنة التاسع، أي عظمة الدين أنه ينظم حياتنا، عندك أوقات للصلاة، وأوقات للصيام، وأوقات للفرح، قال:

{ عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه و أوس بنَ الحَدَثَانِ أيامَ التشريقِ فناديا: إنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلا

مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب }

[أخرجه مسلم]

أنت تتعبد الله بالأكل والشرب، وذبح الأضحية، وإطعام الناس، هذه فيها عبادة، لكن بالتاسع تمسك عن الطعام والشراب، هذه هي حقيقة الدين، والافتداء بالدين أجبنا الكرام
افتداء بالمحصول، أي نصوص، تأس بالسنة، هذه حقائق بين أيدينا تتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمر وبما نهى.

الفرق بين الشفع والوتر:

أخواننا الكرام ؛ هذه الليالي العشر كما قلنا أيام خير وبركة إن شاء الله، ونسأل الله ألا يفوتنا أجرها.

(وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) الشفع أخواننا الكرام الصلوات الزوجية أي الظهر شفع، والفجر شفع، والعصر شفع، والعشاء شفع، المغرب وتر، الوتر ؛ وتر لأنه
بواحدة، أو ثلاث، أو خميس، أو بسبع، أو بتسع، فهي وتر.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ تِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، **وَاللهُ وَتَر**

{ يُجِبُّ الْوَتْرَ }

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي]

فالوتر هو العبادة الفردية، والشفع هو العبادة الزوجية، وسع بعض أهل العلم تفسير هذه الآية قالوا: الشفع هو كل ما خلق الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49)

[سورة الذاريات]



كل شيء بالحياة مبني على نظام الزوجية

فكل شيء بالحياة مبني على نظام الزوجية، ذكر وأنثى، حتى قالوا بال مخلوقات الشمس والقمر، الليل والنهار، فكله مبني على وجود نظام الزوجية، الشفع، أما الخالق فهو الوتر
جلّ جلاله، فهو الفرد لا مثيل له جلّ جلاله، فهو وتر جلّ جلاله، فقالوا: الشفع هو المخلوق، والوتر هو الخالق جلّ جلاله.

لكن نأخذ القول الأول لأنه يتناغم مع الآيات، الشفع عبادة عدد ركعاتها زوجي، والوتر كل عبادة عدد ركعاتها فردي.

دخول الليل في النهار والنهار في الليل شيئاً فشيئاً:

ثم قال: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَشِي) الليل أخواننا الكرام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ بُيُوتُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَبُيُوتُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61)

[سورة الحج]

بالكون لا يوجد ضوء ثم فجأة يختفي الضوء وبصير الظلام، لا، بل: (بُيُوتُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ) أي يدخل الليل شيئاً فشيئاً، ويدخل النهار شيئاً فشيئاً، هذا معنى بولج، وهذا مبني على أن الأرض كروية، فلو كانت بشكل آخر لما حصل دخول الليل بالنهار، ودخول النهار بالليل، فهنا قال: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) أي يأتي أو يجيء شيئاً فشيئاً، ويذهب شيئاً فشيئاً.

الحكمة من تنكير قوله تعالى: وليالي عشر:



تناغم النهار والليل مع عبادتك وطاعتك

الآن بين الليل والفجر (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) كانت العبادة، الطاعة التي هي: (وَلَيَالٍ عَشْرٌ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) أي تناغم وجود النهار والليل مع عبادتك وطاعتك لله عز وجل، أي هما طرف العبادة، أنت تعبد الله في النهار والليل، بين الفجر والليل يتناغم الوجود معك وَأَنْتَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وكأن الكون كله يسبح بحمد الله معك، مع عباداتك في الشفع والوتر والليالي العشر التي اختصها الله تعالى، والتي قدمها تقديم أهمية، ونكرها، انظر: (وَالْفَجْرِ) معرفة، دخلت عليها أل التعريف، (وَالشَّفْعِ) معرفة، (وَالْوَتْرِ) معرفة، (وَاللَّيْلِ) معرفة (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) نكرة، ما قال الليالي العشر، قال: (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال: نكرها ليميزها بين المعرفات لدلالة عظم شأنها عند الله، هذه الليالي (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) نكرها جل جلاله.

كلام الله يفهمه ذوو العقول الراجعة:

أحبائنا الكرام ؛ هذا الجزء الأول هو القسم، الآن ماذا قال تعالى؟ (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) هذا استفهام تقرير، ماذا يعني استفهام تقرير؟ أنت عندك ابنك في البيت، وبذلت عليه ما بذلت بالتوجيه حتى تعبت، ثم بعد ذلك هو أهمل دراسته، ويوم صدور النتائج أخذ خمسين أو ستين بالمنة، وجاء إلى البيت، تقول له: هذا الذي حصلته بالنهاية؟ هذا سؤال، الآن هو لا سمح الله إذا أراد أن يغيظك يقول لك: نعم هذا الذي حصلته، فتقوم بضربه، أنت تسأله، أنت توبخه، تقرر لكن بطريق الاستفهام، الآن هو يجب أن يضع عينه بالأرض ويستحي.

(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) أي هذا الكلام فيه قسم، يفهمه ذوو العقول، إذا كان لا يملك عقلاً فهو غير مكلف، المجنون ليس مكلفاً، لكن إذا كان مكلفاً هذا الذي جاء في الآيات الأربع فيه (قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)، حجر: أي عقل، لماذا سمي حجراً؟ لأنه يحجر صاحبه عن الوقوع في الأغلاط والمحرمات، الحجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَجُجْرًا مَحْجُوراً (53)

[سورة الفرقان]



البرزخ والحجر المحجور

بين البحرين يوجد برزخ، حاجر، والحجر المحجور أبلغ من الحاجز، اكتشف العلماء أن الأسماك التي تعيش في هذا البحر لا تدخل إلى هذا البحر، تصل إلى مكان وتعود وكأن هناك حاجزاً، مع أنه ليس هناك حاجز، تستطيع أن تغير الماء لكنها تعود، فقال تعالى (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً) هذا برزخ لا يبغي، لا يطغى ماء بحر على ماء بحر، كل بحر له ملوحته، وكثافته، ولونه، لكن فوق البرزخ قال: (وَجِجراً مَحْجوراً) فامتنعت أسماك هذا البحر عن الدخول إلى هذا البحر، وأسماك هذا البحر عن الدخول إلى هذا البحر، هذا من آيات الله، فالحجر هو المنع، حجره عن كذا منعه، ويقال في الفقه: حجروا على فلان لأنه سفيه، أي منعه من التصرف بماله لكيلا ي تلفه، هذا الحجر.

(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) أي هذا الكلام فيه قسم يفهمه ذوو العقول الراجعة، وحتى العقل من أين جاءت كلمة عقل؟ ألم يقل له: اعقلها وتوكل، عندما سأل أحدهم النبي عن الناقة: يا رسول الله أعقلها أم أتوكل؟ أي أربطها كي لا تهرب، أم أتركها وأتوكل على الله؟ قال له: اعقلها وتوكل، أربطها ثم توكل على الله، الأسباب والتوكل معاً، ما معنى اعقلها؟ أي أربطها، فالعقل أيضاً جاء من الربط والمنع، لأنه يمنع صاحبه من الخطأ، فإذا قال لك إنسان: أنا عاقل، ثم ذهب وشرب الخمر وزنا والعياذ بالله فهل هذا عقل؟ هذا ما دام متفلاً لا يحده شيء معنى هذا أن عقله لم يأمره بالصحيح، معني هذا يوجد نقص بالعقل، وإن كان هو بالظاهر عاقلاً ومعه شهادة، لكن ما دام العقل لم يمنعك من أن تقع فيما يهلكك، وقد يكون الهلاك عظيماً وهو هلاك الآخرة والعياذ بالله، إذا هذا ليس عقلاً لأنه لم يمنع صاحبه من الوقوع في المحرمات.

أخواننا الكرام؛ هذا الجزء الأول من السورة (وَالْفَجْرِ*وَلَيْلٍ*عَشْرِ*وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ*وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ*هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ).

خبر الله من شدة موثوقيته كأنك تراه:



كيفية تلقي خبر الله عز وجل

الآن جاء في المقطع الثاني: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأى بعينه ما فعله الله بعاد؟ عاد كانت قبل رسول الله بمئات السنين، لماذا لم يقل له: ألم تسمع ما فعله ربك بعاد؟ قال: لأن خبر الله إذا جاء ينبغي أن تتلقاه وكأنك تشاهده بعينك، إذا أخبرك الله بشيء يجب أن تتلقاه وكأنك تراه بعينك، شخص جالس معك يقول لك: هل رأيت ما حدث معي؟ لا والله ما رأيت، أسمعني، قال: فخير الله من شدة موثوقيته كأنك تراه، هذا يقين اليقين.

قال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) عاد الأولى قوم، التي هي إرم، جاء باسمها للتأكيد (إِرَمَ ذَاتَ الْبُيُوتِ) كانت بيوتهم من شعر، ولها أعمدة طويلة جداً عماد (أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْيَلَدِ) هذه عاد في وقتها لم يكن هناك مثلها أبداً، حتى إن الله تعالى في القرآن الكريم لما ذكرهم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15)

[سورة فصلت]

فأجابهم وقال: (أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فما ذكرهم بمن أشد منهم قوة لأنه لم يكن في عصرهم من هو أقوى منهم، فذكرهم بقوته جلّ جلاله قال: (أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) وأهلكهم الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)

[سورة الحاقة]

القوم الآخرون هم ثمود: (وَتَمُودَ الَّذِينَ خَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) جابوا ليست من جابوا بالعامية أي أحصروا ؛ بل هي بمعنى شقوا، نحتوا من الجبال بيوتاً، أي بداخل الجبل عملوا الأقواس، وعملوا البيوت، والذي ينزل إلى مدينة البتراء يرى كيف الأقواس كانت تجوب الصخر بالواد.

علاقة الطغيان بالفساد:



الأهرامات أعجوبة من أعاجيب الزمان (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ) تعني الأوتاد ؛ تعني الأهرامات، الأهرامات أعجوبة من أعاجيب الزمان التي لا يعلم أحد حتى الآن حقيقة طريقة بنائها (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ * الَّذِينَ) انظر هنا نقطة مهمة، قال: (طَعَوْا فِي الْبِلَادِ) ليس في بلادهم، في البلاد، لأن الطاغية طغيانه يعم كل البلاد وليس بلده فقط، إذا كان كثيراً، مثل اليوم بعضنا يوجد كثير من عاد و ثمود، طغيانهم ليس بلادهم يقصفون البلدان، ويعتبرون سياستهم الخارجية مثل سياستهم الداخلية، نحن سياستنا الخارجية مثل الداخلية، نحن نتصرف بالعالم كله (طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْقِسَادَ) ما علاقة الطغيان بالفساد؟

أحبائنا الكرام ؛ أي طاغية حتى يخضع الناس لطغيانه يريد أن يفسدهم، لأن المجتمع غير الفاسد مجتمع قوي فيواجهه، فإذا أفسده سهل عليه قيادته، لأنه يصبح همه شهوته، فيحقق له شهواته، فيركن له (طَعَوْا فِي الْبِلَادِ) البنّاغون (فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْقِسَادَ) هوليود، لن يكون عندك قوة بلا فساد، القوة تحتاج إلى فساد، وكل الطغيان في الأرض يعتمد على سياسة إفساد الشعوب، يسخر الإعلام لإفساد الناس، الفاسد يصبح همه ليس المبادئ والقيم حتى يدافع عن المظلومين، يصبح همه فقط شهوته، شهوة البطن وشهوة الفرج، فيحققها للشعوب بطريقة أو بأخرى فيخضع فقال: (الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْقِسَادَ).

ثم قال: (قَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) السوط ؛ يشير إلى اللدغ، للإيلام، والصب للكثر، فصار العذاب مؤلماً وكثيراً، تقول: صب الماء ؛ نزل بكثرة، ليس قطرة، وسوط ؛ أي لدغ ضرب، فهناك إيلام وغزارة (قَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) هذه الآية مخيفة. أخواننا الكرام ؛ والله مخيفة، هذه ليست لعاد و ثمود ولفرعون فقط.

الله تعالى بالمرصاد فعلى كل إنسان أن يراقب تصرفاته:

والله يا أحبائنا الكرام لا أبالغ إذا قلت: إذا أراد إنسان أن يأكل ميراث أولاد أخيه فليذكر: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) إذا أراد أن يغش المسلمين ويضع مواد مسرطنة بالمواد الغذائية من أجل أن يبيع ربحاً عالياً، عليه أن يتذكر (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ)، إذا أغلق الباب على نفسه وزوجه ليس لها أحد غير الله، وأهلها في مكان بعيد، وظلمها، وهي ليس لها أحد غيره تذكر: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ).



مع الله عز وجل الصلحة بلمحة
أخواننا الكرام، بالمرصاد أي هو يرصد تحركاتك، لا تفكر أن تغفل من ربنا عز وجل، تعالى الله جلّ جلاله، حاشاه جلّ جلاله، إياك أن تظلم، مع الله عز وجل الصلحة بلمحة، إذا قصرت بجانب الله، فانتني صلاة، نظرت نظرة، توبة بساعة صفاء، يا رب، لكن إياك أن تظلم لأن الظلم مرتعه وخيم، الظلم ظلمات يوم القيامة، فالإنسان عليه ألا يترك برقيته حقاً لأحد من مخلوقات الله، كن مظلوماً ولا تكن ظالماً، إذا رأيت حقاً لي، قل: ليس لي، قل له: لك.

النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر في القصص النبوي فيمن كان قبلنا، أنهم باعوا أرضاً، شخص باع أرضاً لشخص آخر، قال له: الأرض لك، الثاني وهو يحفر الأرض رأى جرة ذهب، جرة الذهب لمن؟ رجع لعنده، حملها وذهب لعنده، قال له: هذه الجرة لك وجدتها في الأرض، قال له: إنما بعثك الأرض بما فيها، أنا بعثك الأرض فهذه لك، قال: بل هي لك، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أشتري منك الجرة، ما هذا النقاش الراقى؟ فاحتكموا، فقالوا: زوجوا ابن هذا لبنت هذا بالجرة.

عندما يكون هدفك الله عز وجل أنت تقول: لا، هذا ليس حقي، لو كنت تشك عشرة بالمئة تقول: لا، سأتركه لأخي، ولن أكون ظالماً، أما الإنسان عندما يكون غير منته (**إِنَّ رَبَّكَ** **لَبِالْمِرْصَادِ**) يصير الأمر إن كان هناك شبهة يقول: اعتبره مضي لم يره أحد.

فإنسان أحياناً الكرام ؛ عليه ألا يكون برقبته مظلمة لأحد، لا مظلمة أنه يظلمه بكلمة، لا مظلمة أنه يظلمه بمال، لا يظلمه بشيء هو له، هذا: (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**).

الاعتصام بالله والابتعاد عن الضلال:

المقطع الثالث أحياناً الكرام في السورة يتكلم عن أمر مهم جداً: (**قَالُوا الْإِنْسَانُ**) الإنسان بشكل عام قبل الإيمان، بالقرآن فقط تقرأ الإنسان معرفة، أي الإنسان قبل أن يؤمن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا

[سورة العلق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا

[سورة العصر]



الإنسان بالقرآن أينما قرأته مذموم إلى آخره، تقرأ الإنسان أي هو على أصل خلقته قبل أن يؤمن فقال: (**قَالُوا الْإِنْسَانُ**) بالمناسبة الإنسان ما مدحه الله بالقرآن، الإنسان بالقرآن أينما قرأته مذموم، أما المؤمن فممدوح، الرباني ممدوح، فالإنسان - هذا اقتراحي - لا يقل أحدكم: أنا إنساني، بل يقول: أنا رباني، الإنسانية كلمة فضفاضة، عند مصالحة سيترك إنسانيته، ويتحول لوجيش كاسر، ويقولون: أصعب شيء بالحيوان إذا جاع، وأصعب شيء بالإنسان إذا شبع، الحيوان يجوع فيفترس، الإنسان عندما يشبع كثيراً (**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا**) * **أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى**) يعتقد أنه مستغن عن الآخرين، وأموره بخير، يطغى، ويريد أن يضل.

انتبهوا _ أحياناً الكرام _ كلما وجدت نفسك قد أنعم الله عليك بنعم أكبر اعتصم بالله أكثر حتى لا تنسى، الطغيان يأتي من النسيان، والنسيان يأتي من الاستغناء عن الله من غير أن تشعر، ونسأل الله السلامة.

الابتلاء مصير كل إنسان:

(**قَالُوا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ**) ابتلاه أي امتحنه، أعطاه البيت، والزوجة، والسيارة، وربما المزرعة، والمال الوفير (**ابْتَلَاهُ**)، هل هذا الإكرام والإنعام هو شيء جيد؟ لا، سيئ؟ لا، ما هو؟ امتحان، نتيجته ممكن أن تكون جيدة أو سيئة، لكن مبدئياً لا أستطيع أن أحكم، لكن الإنسان من جهله (**قَالُوا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ**) إذا كان غير مؤمن (**فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ**) هل ترون كم يحبني الله ! هل ترون العطاء الذي أعطاني الله إياه؟ جاهل، ما فهم الامتحان، ما فهم أن هذا العطاء هو امتحان، قال: (**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ**) بالطرف المقابل، إنسان آخر ابتلاه الله، لكن مادة الابتلاء مختلفة، قال: (**فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ**) أي ضيق عليه رزقه، رزقه قليل، آخر الشهر يفترض من الناس، (**فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ**) قدر؛ أي ضيق، مثل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)

[سورة الأنبياء]

يُحِبُّ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُكَ يَقُولُ يَا نَبِيَّاتِ النَّاسِ إِنَّا بَعَثْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ نَبِيًّا وَإِذَا نَبِيٌّ مِنْكُمْ قَدْ نَصَحَ قَوْمَهُ سَتَآذِنُ لَهُمْ قَوْمُهُ أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا ضَلُّوا سَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِيَّاهُ فَاسْتَبَدُّوا لَعَسَآ أَنِ الْغَايَةُ إِلَهُكُمْ إِنَّا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الظَّنِّ وَلَكِنَّا كَثِيرٌ مِمَّنْ هُمْ أَفْضَلُ مِنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (164)

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ) ضيق عليه (رَزَقَهُ فَيَقُولُ) (رَبِّي أَهَاتَنِ) لماذا لا يحييني الله مثل فلان؟ لماذا لا يعطيني مثلما أعطاه؟ جاهل، ما فهم المعادلة، انظر إلى الجواب الإلهي، انظروا إلى الجواب الإلهي قال: (كَلَّا) كلا أداة ردع وزجر ونفي.

إذا جاءك شخص وقال لك: معك هويتك؟ تقول له: لا، لا تقل له: كلا، قل له: لا، يكفي، إذا شخص قال لك: كأنك سرقت لي شيئاً، وأنت إنسان شريف محترم، قل له: كلا، فيها مع النفي ردع وزجر، أي كلامك خاطئ، فكلا تعطي الردع مع الزجر مع النفي أما لا فنفي، انظر إلى دقة اللغة.



العطاء ابتلاء والمنع ابتلاء

فقال: (كَلَّا) أي أنتما الاثنان جاهلان، لا كلامك صحيح (رَبِّي أَكْرَمَنِ) ولا كلامك صحيح (رَبِّي أَهَاتَنِ) لا أكرم هذا، ولا أهان هذا، لأن الدنيا لا تساوي شيئاً أمام الآخرة، ليس العطاء فيها إكراماً، وليس المنع فيها إهانة، العطاء ابتلاء، والمنع ابتلاء، فإذا نجح صاحب المنع في الابتلاء، ودخل الجنة فهو أفضل من صاحب العطاء الذي استحق النار، وإذا نجح صاحب العطاء، وأنفق المال، وزكى، وأعطى، وتصدق، وصلى، وصام، فهو أفضل من صاحب المنع الذي أثناء المنع سخط على الله - والعباد بالله - فدخل النار، لا هذا أفضل، ولا ذاك أفضل، القضية بالنتائج وليست بالمقدمات، إنما هي مجرد ابتلاءات.

(كَلَّا) أي ليس عطائي إكراماً، ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء، ومنعي ابتلاء، فقال: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَاتَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ) كلا جواب عن الكلام السابق.

التكافل في الإسلام:

ثم قال: (بَلْ) هنا حرف إضراب، يوجد كلام جديد، لا تطعمون اليتيم، أنتم تتركون الواجبات المطلوبة منكم في إطعام اليتامى (وَلَا تَخَافُوهَا) لأن الإسلام يريد أن يقيم تكافلاً اجتماعياً، ما قال: ولا تطعمون المسكين، قال: (وَلَا تَخَافُوهَا عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ) أي ليس دورك فقط أن تطعم المسكين، جالسون بمجلس، يا جماعة يوجد شخص من طرفي معروف وضعه صعب، وحالته مستورة، إذا سمحتم كل واحد منكم يدفع له شيئاً، هذا تحاض على طعام المسكين، تحض الناس على الخير، هذا المجلس فيه تحاض، لمن تكلمنا في البداية عن أيام العشر وفصلها والصدقات، الآن نحض بعضنا على أنه تنفق في هذه الأيام للمساكين والفقراء، فهذا اسمه الحض، وهذا يدل على التكافل في الإسلام، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الابتعاد عن أكل المال الحرام:

قال: (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَعًا) الثراث: الميراث، بعض الناس يأكلون ميراث أخوتهم، بعض الناس يقول لك: نحن لا نورث البنات في العائلة، يذهب المال للصهر، هذه جاهلية والعباد بالله، وبعض الناس يقول لك: هذا البيت لي أنا، الوالد كتبه باسمي، خير ماذا حدث؟ والله بمرض الموت قُتل يد والده اليمين والشمال، وقُتل قدميه، فوالده حنَّ عليه وكتب باسمه البيت، أنت أخذته من أبيك من غير سبب لكن عند الله عز وجل لا يصح إكتب البيت باسمي، أخوتك لهم حق فيه، بالقضاء الشرعي يقول لك: بيع شراء صار لك، لكن أنت تعلم أنك لم تأخذه بحق، ولم تدفع ثمنه إلى آخره (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَعًا) أي تأخذون وتأكلون (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أي كثيراً، (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أي كثيراً.

المقطع الرابع إن شاء الله بعد العيد، إن شاء الله وكل عام وأنتم بخير جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.